من هنا وهناك

عبد الحق حامد وأفكاره الفلسفية

قبل أن أدلى ببيان رأى نحو أفكار شاعر مفكر جليل القدر مثل عبد الحق حامد يحسن بى أن أورد نبذة عن شخصيته المعنوية وطبعه الشاذ ؛ فان هذه هى القاعدة المعتبرة والدأب المقبول لدى الناقدين .

ولكنى آسف لعدم كفاية وقتى ، وهذا ما جعلنى لا أقف منه موقف الناقد ، فأردت مع ذلك أن أضع بالاختصار تحت ضوء البحث فى عدة صفحات شيئاً مما قد يثير الفضول مما درسته عن هذا الموضوع. وإنى أؤكد للقراء المحترمين أن ما سوف أقوله إنما هو صورة صادقة لظنى الغالب الذى سيطر على فكرى نتيجة بحثى الذى قمت به بصبر ودقة .

إن شخصية حامد المعنوية معقدة جداً . وهى تكاد تضرب مثلا لفطرة متعددة الوجوه أعنى أنها تجمع فى نفسها نماذج من شخصيات متخالفة ومتنوعة . ولذلك أعتقد أنه لا يكون صحيحاً أن نعتبرها شخصية واحدة ، وإن كانت وحيدة فى تاريخ أدبنا كأية للعبقرية .

إن حامداً للفظ مشترك ، بل إنه لاسم جامع ، وإلى هذا الاسم تنسب شخصيات معنوية مختلفة كلها على فطرة متفاوتة .

وهو ذاته قد أدرك هذه الحقيقة ، فقال للتعبير عن معنى التضاد الموجود فى طبعه :

حقيقة ايكى شخصم بن ، اعتقادمجه : برى هميشه مبشر ، برى مكدر در !

[ما أنا إلا شخصان ، وفى اعتقادى أحدهما أن مبشر والآخر مكدر .]

ولقد يفهم أن قائل هذا البيت يعرف — وهو ليس بطبيب — أنه يكون نموذجاً لتلك الظاهرة الروحيه الغريبة المسماة « ثنائية الشخصية » ويعتقد أنه هكذا ويعترف ، هذا صحيح ! ولكنه يقوله من وجهة التشاؤم والتفاؤل. ولعله من المستطاع أن يقال إن المعنى الذى أقصده أنا لم يخطر قط ببياله . إذن لا نبالغ كثيراً ولا نعد حالة الشاعر مطابقة للأعجوبة الروحية المشهورة عند الأطباء النفسانيين .

وفى الحقيقة قد يوجد فى بعض الأشخاص الثنائية الشخصية . ونحن نعتبر هذه الثنائية لأسباب عدة حالة مرضية . ومثلا قد ظهر بعد البحث والاختبار أن بعض الناس يعمل بفعل الروحين ، أنهم يعملون كشخصين متفاوتين ليس بينهما أدنى تشابه ، وأن أحدهما بعد أن يظل يظهر معنويته لمدة وبطابع معين يزول عن الوجود ، أو على تعبير علماء النفس ينادر المسرح ثم يظهر كأنه متجرد من الروح الأولى ويعمل على فطرة أخرى ، هذا الشخص الثانى ليس بالشخص الأول وهو على نقيضه تماماً سواء أكان ذلك من حيث الفكر أم الاعتقاد أم الخلق . والغريب أن هاتين الشخصيتين المختلفتين ليستا على اتصال الواحدة بالأخرى ولكل منهما ذاكرة خاصة ، ولكل منهما حرم يحيط بمعنويتها ، كل منهما تمثل دورها على المسرح أى تعمل بحكم شخصيته وتتذكر أعماله السابقة وتواصل حياتها المعنوية بعد استئنافها من المرحلة التى تركتها فيها .

ولولا أن اعتقاد التناسخ باطل بالبداهة لكان الانسان يستطيع أن يدعى أمام هذا الحادث العجيب : أن روحين مختلفتين تترددان على قالب الجسم نفسه دون أن تشعر إحداهما بالأخرى ، وتتصرفان فيه بالتناوب !

وهاك الظاهرة الغريبة التى نسميها بالثنائية الشخصية ولها أنواع ، والأطباء الاخصائيون يعدون هذا النوع منها مرضاً خاصاً ينهك الشخصية .

والشاعر المشهور الذى أتشرف بمعرفته جيداً ليس ولا شك شخصا عجيباً مثل هذا وأنا كفيل بذلك . وإذا قلت : إنه من ذوات الشخصيات العديدة فلست أقصد المعنى المذكور قطعاً ، فأرجو ألا يفهم ذلك خطأ . فكل ما أريد أن أقوله هو أن لروح حامد مظاهر منوعة ولذكائه تجليات ولطبعه ميولا مختلفة . ولكنها تكون فى ذات حامد سجايا بذلك البروز والاستقلال ، بحيث إنها تكاد تكفى لتميز شخص بشاكلته الخاصة . وهذا النوع من الانسان ليس نادراً ، وليست هذه الفطرة من شأن الشخصيات العظيمة بالضرورة ، وإن هى إلا فطرة جبلت عليها فحسب .

وإنى إخال أن لحامد شخصيات عديدة ، لا شخصيتين . أعرف منها ثلاثا ، وكتبت هذه الرسالة لتقدير إحداها حق قدرها .

أولا إنه روح طفل دمثة مرحة غير خاضعة للنظام بل نائرة فى بعض الأحيان . ولقد غمرها فيض إلهى فاحتفظت بشبابها ولم تعرف الهرم . وأصدقاؤه المقربون عاشروها مدة طويلة ورضوا عنها رغم مجونها ؛ لأنهم واثقون من أنها بريئة وليس من شأنها أن تكبر فهى فتية دائماً !

أليس الشاعر كالطفل فى فطرته ؟ وما الطفولة بضارة ما دامت لا تمكر صفو العبقرية . أو لم يكن كذلك لورد بايرون ، بول فرلين وروبرت لوئيس ستيوفنس وكثير من كبار الرجال ؟ وليست معنوية الطفل هذه لا تضر شاعرنا فحسب بل هى تفيده بحيث لا يمكن تقديرها حق قدرها . حينما تضيق روح الشاعر ذرعا بالافتراضات غير المجدية للعقل الذى يشعر بعجزه وينعقد لسانه أمام أسرار الغيب ، يلتجىء الشاعر المسكين إلى معتقدات الطفولة البريئة الخالصة فيجد فيها شيئاً من العزاء . هذا الرجل الذى تقلق باله فكرة الانعدام إلى الأبد ، يسليه عنها النظر إلى وجوه الأطفال ، فيخيل إليه أن الذين مضوا يعودون فيهم إلى الحياة ، فيتسلى برؤيتهم على محياهم . ومثلا أنه أوضح جيداً جداً كيف شعر بسرور مؤلم حينما لاحظ أن أما ماتت قد عادت إلى الحياة فى شخص بنتها .

والشاعر بعد أن خاطب أولاده ولا سيما ابنته وسه عليها قائلا :

شاعر ده چوجو قدر ، أى قيزم ! بيل .

[اعلمى يا بنيتى أن الشاعر طفل أيضاً !]

برهن على ما أوردته بالأبيات الآتية :

جوف مسئله حل ايدر وجودك
بازيجه سى دراو دست جودك
سن سك فبلان اول مزارى تأويل
عمرم اوله جق سنكله تكميل .
بن سنجه او يونجاغم مسلم .
سن سه بكا برغريب تمثيل .
سندن بولورم بو دم تسلى
لكن أونه پرألم تسلى ؟
برطرز بيانله آكلا شيلماز ،
فريادو فغانله آكلا شيلماز !

[إن وجودك لمفتاح لحل مسائل كثيرة
وهو لعبة بيد الخالق الكريم
وما وجودك إلا تأويل للقبر
وما أنت إلا تكملة لعمرى
وما أنا إلا لعبة فى يديك
أما أنت فآية عجيبة لى

وليس لى عزاء سواك الآن
ويا له من عزاء مؤلم !
لا أملك بياناً ولا نوحا لتبيينه .]

عندما تعجز كل الأفكار الفلسفية أن تسد فراغ القبر ييأس الشاعر من الاهتداء إلى وسيلة لشفاء آلام روحه العميقة القاسية، فيجد النظريات الفلسفية والمعتقدات كلها عبارة عن أقوال باطلة لا غناء فيها، وحينئذ يرجع إلى الطفولة ، ويرى اعتقادهم أولى بصفاء الضمير ؛ وفى قوله :

سزلرده كى اعتقاد ، خوشدر .
اك دوغروسى او ، بزمكى بوشدر .

[إن اعتقادكم أحسن وأصح
أما ما عندنا فهو واه]

ما يثبت ما أسلفته .

وإذا كان الانسان لا يدرك — كما يرى الشاعر — حقيقة الأشياء وعلة الكون وغاية الحوادث : أى سبب الحياة وسر الممات ، وقف موقف المتفرج من جريان الوقائع . وإذا لم تكن المعرفة سوى ذلك ، فان معرفة الأطفال وحكمهم الذى يصدرونه عفواً وبسذاجة لجدير بالرجحان ، إذ الأولى هو عدم المعرفة .

وهو يستمد من روح الطفل تلك عندما لا يجد فى جريان الحوادث نظاماً ، وفى الكون غاية معقولة، أى حين يقع فى الشك وهو يمعن منظر فى مشكلة العلة النهائية . ولا غرو أنه تصور الله كالطفل الأكبر تحت تأثير هذه المشكلة. وهذا يعنى أنه عند ما لا يرى نظاماً فى العالم يتحرر من قبول عقدة الايجابية .

نقلها إلى العربية ابراهيم صبرى

توفيق رضا

جناية

كتب إلينا الأستاذ حبيب زحلاوى ردا على ما أثير حول القصة التى نشرت له فى أحد أعداد هذه المجلة ، وظهر أنه سبق أن نشرها فى إحدى المجلات الأدبية تحت عنوان آخر . ولسنا نحب أن نعود إلى ما كتبناه عن ذلك فى العدد السابق . غير أننا نقول إن ماذكره الأستاذ عن علم سكرتير التحرير بسابق نشرها لا يمكن أن يطابق الواقع ، كما أن تغيير العنوان إنما كان بعمل الأستاذ مؤلف القصة وبخطه ، ويثبت ذلك أصلها المحفوظ فى الدار . وللأستاذ رأيه فى مبدئه الخطر عن حق المؤلف فى بيع المقال الواحد لأكثر من ناشر . ولم يبق بعد ذلك إلا أن ننشر خطابه بدون تعليق :

حضرة المحترم سكرتير تحرير مجلة الكاتب المصرى

أت فى العدد التاسع من المجلة ، كلمة بعث بها أديب من العراق إلى رئيس التحرير يستنكر فيها نشر قصتى « جناية » التى نشرت بالعدد السابع من المجلة ، ويقول إنها نشرت من قبل ذلك بمجلة «الرسالة» بعنوان آخر .

وقرأت أيضاً تعليقك على تلك الكلمة . وقد بدا لى أن أهمل الرد عليها تجاوزا عن الروح الذى أملى عليك ذلك التعليق ، واستخفافا بالواقعة نفسها ؛ لأن طبيعة القصة تقبل النشر فى أكثر من صحيفة ، وفى أزمان

متفاوتة البعد ما دام فيها ما يكفل لها ذلك من عناصر الحياة وخصائص البقاء . ولكنى أتناول الرد على التعليق بالمقدار الذى يضع الأمر فى نصابه ، ويجرد المسألة من الزوائد التى حشرها السائل بسؤاله ، والكاتب فى كتابه .

عرضت عليك — باتفاق بينى وبين رئيس التحرير — قصة « لقيط » (وقد نشرتها مجلة « الكتاب ») ، فأبيت أخذها بحجة أن فيها ما يمس فتاة مجندة فى الجيش البريطانى ، فعرضت عليك مجموعة قصصى المعدة للنشر وتركت لك حرية الاختيار ، فاخترت أنت القصة التى نشرتها لطابعها الشامى البديع . ولكن عنوانها « الجارم » لم يعجبك ، فاستبدلنا به عنوانها الجديد وهو « جناية » وكتبته فى رأس القصة بقلمك وحبرك ثم نشرتها . ولما تلاقينا بعد ذلك لقيتنى ببشاشة ظاهرة وابتسامة عريضة ، وقلت لى : « متى تتحفنا بقصة جديدة لم يسبق نشرها » فاعتذرت لك بانصرافى إلى كتابة القصة الطويلة ، وانتهى الأمر .

إذن كان المعلوم أنك اخترت قصة نشرت من قبل ، وكان المفهوم أنك تترأ مجلة كمجلة « الرسالة » ، فما معنى أن تسألنى الرأى فى التاجر الذى يبيع السلعة الواحدة مرتين ؟ ولكن أليس من حق أن أبيع قصة لناشر سبق لى نشرها ؟

أقول : بلى ! هذا من حق وليس لمخلوق أن ينازعنى فيه ، وإلا فما رأى الأستاذ حسن محمود فى موضوع أو موضوعات أدبية يذيعها أديب بالمذياع فيأخذ عنها أجرا ، ثم ينشرها فى صحيفة أو أكثر فينال عنها أجرا ، ثم يجمعها فى كتاب ويقدمها للناشر فيأخذ عنها أجرا ، ثم تترجم إلى لغات أجنبية وتنشر فيقبض عنها أجراً ، فهل ينطبق تصرف هذا الأديب على تصرف التاجر الذى يبيع السلعة الواحدة مرتين ؟

اللهم كلا !

نشرت صحيفة « كانديد » الفرنسية قصة متسلسلة عنوانها « سيدة فى نافذتها » لقصصى يدعى دريسه لاروشيل ثم نشرتها بعد ذلك مجلة « باريس » فى عددها ٢١ — ٢٢ الصادرين فى أول وفى منتصف شهر أكتوبر سنة ١٩٢٩ من سنتها السادسة والعشرين ، فانهالت كتب القراء تحمل الشكر لقلم تحرير « مجلة باريس » التى يسرت لهم قراءة القصة دفعة واحدة . وهل فعلت سوى أنى نشرت قصة فى عدد واحد من « الكاتب المصرى » كانت نشرت فى مجلة « الرسالة » مسلسلة فى جملة أعداد ؟ وهل فى هذا الأمر الذى اتفقنا عليه معاً ما يستوجب اللوم ويستحق الانتقاد ؟

حبيب الزحلاوى